الجزيرة والسياسة الخارجية القطرية
سلام الكواكبي

من خلال استعراض الأثر المتعاظم للمشهد البصري في تكوين الوعي السياسي والثقافي والديني في العالم العربي بعد انتشار الفضائيات، تقف قناة الجزيرة كأبرز الظواهر التي أطلقت مرحلة جديدة من مراحل إعادة صياغة التفكير الجمعي العربي.

إثر انطلاقة «ظاهرة» قناة الجزيرة في سنة 1996، دُعيت إلى لقاء علمي تمخضت عنه عديد من الأوراق ومنها ما كتبته عن ما تمثله هذه الظاهرة الجديدة حينذاك من الناحية الإعلامية ومنن الناحية السياسية. ومنذ ذاك التاريخ، انحصرت الكتابات حول المشهد الإعلامي العربي بشكل عام في إطار الحديث عن هذه المحطة الفضائية التي أطلقتها دولة قطر. ولقد أضحى الموضوع مكرراً في أغلب اللقاءات العلمية والإعلامية بحيث تم حصر الحديث عن المشهد الإعلامي العربي الحديث في موضوعة الجزيرة وبرامج الجزيرة والعاملين في الجزيرة. ولقد اعتذرت منذ ذاك الوقت عن تجديد الخوض في هذا الموضوع من جانبه الإعلامي على الأقل لما لمسته من الدوران في حلقة مفرغة والتكرار والإطالة. وكانت حجتي دائماً بأنه من الأفضل توسيع بؤرة النظر إلى المشهد الإعلامي وعدم حصره بقناة واحدة مهما اعترت تجربتها النجاحات والإضافات.

ومع مرور الوقت، توضّح دور القناة الأساسي والحساس بتأثيراته التي تتجاوز الرسالة الإعلامية إلى لعب دورٍ سياسي إقليمي ودولي. وهذا ماا يستوجب التوقف عنده في محاولة متواضعة لفهم أبعاده وتحليل دعائمه واستشراف أفق تطوره.

ومن خلال الملاحظة السريعة، يتبين أن قسماً كبيرا من متابعي قناة الجزيرة هم إما من جيل الوسط (الخمسينات والستينات) من قوميين ويساريين توازى تحولهم عن إيديولوجياتهم وإحباطهم مع تخليهم عملياً عن الاهتمام بالثقافة والإعلام المكتوب لإحساسهم «بلا جدواه». لقد أوهمتهم وسائل الإعلام المرئي بجدوى فكرية ـ معلوماتية وهمية وسطحية تعتمد آلية التطهير المنقولة من الدراما إلى الإعلام. أما النوع الثاني من المتابعين الدائمين فهم من الأجيال الأكثر شباباً التي ربطت خياراتها الجدية فكريا أو نضاليا بالتعبير الديني. وهؤلاء عموماً استبعدوا المصادر التقليدية للثقافة والإعلام من حياتهم إبّان تكوينهم الجامعي مقابل ارتباطهم بالإقبال على وسائل الاتصال الحديثة (الأنترنت، الفضائيات) مع انتمائهم الفكري التقليدي أو المحافظ بمعناه الاجتماعي من جهة، والثوري حامل الدعوات الإصلاحية إيديولوجياً بمعناها الديني من جهة أخرى.

قناة الجزيرة كقوة سياسية قطرية ناعمة

بعد قرابة 14 عاماً من انطلاقتها، وبعد أن سعت القناة إلى أن تصبغ على ذاتها صفة الاستقلالية والحرفية، يحين الوقت للاهتمام بالدور السياسي الفعلي البعيد عن مجرد الحديث عن الظاهرة الإعلامية المستحدثة وأثرها المباشر على الوعي الجمعي للفئات عريضة من المجتمعات العربية في الدول العربية وتلك المهاجرة في مختلف أصقاع العالم.

لقد بدأت المحطة بإشعال ردود الأفعال السياسية منذ بداية بثها خصوصاً في جو عربي سياسي وإعلامي لم يسبق له أن تعامل مع هذه «الحرية» الجديدة بتناول المحظور السياسي. فالمتلقي تعود على أن يخضع لكذب رسمي متجذر منذ أن عرفت التلفزة طريقها إلى الدول العربية. وبدا أن المتلقي في ظمئ لا مثيل له بمجرد أن انطلقت ظاهرة الفضائيات الإخبارية والتي استطاعت أن تسيطر على وعيه وتحليله. فأضحت برامج الجزيرة السياسية والحوارية، أو الصدامية، مرجعاً فكرياً للمواطن العربي بمختلف فئاته. فحتى النخب المثقفة ابتعدت عن التحليل الذاتي والمعتمد على تجميع معطيات وأبعاد الحدث لتلجئ إلى الحل الأبسط المتمثل بما تقوله الجزيرة في المرحلة الأولى، وذلك قبل أن تصبح الفضائيات الإخبارية متعددة الألوان والأمزجة والممولين والتبعيات. رغم النمو الكبير في عدد الفضائيات إذاً، والتي تتبع كلها وبدون استثناء إلى أجندات سياسية رسمية، رغم تملكها أحياناً من قبل رؤوس الأموال الخاصة، حافظت الجزيرة على الأفضلية في تكوين الوعي الجمعي لأسباب مهنية وبصرية أسلفنا تفصيلها في القسم الأول

من هذا المقال. وأصبح من نافل القول بأن المحطة تبحث عن الترويج لسياسات إقليمية ودولية تتبناها القيادة السياسية القطرية مع إعطاء بعض الهامش لمغازلة التيارات الدينية التي عززت من مواقعها على الساحة العربية، وبالتالي، استطاعت القناة بأن تجذب إليها جماعات متعددة الانتماءات سياسياً ومذهبياً من خلال إطار التشويق البصري والتحريض اللفظي المفتعل.

لقد تعرضت علاقات قطر الدبلوماسية لأزمات متعددة ومتكررة مع عدد لا بأس به من الدول العربية نتيجة لبرنامج أو حوار أو فيلم وثائقي عرف طريقه إلى أثير القناة. فكانت ردود الفعل تتراوح بين إغلاق مكتب القناة في البلد المعني أو استدعاء سفير قطر للتعبير عن الاحتجاج أو إعادة سفير البلد «المستهدف» لفترة من الزمن أو قطع العلاقات الدبلوماسية. فقد عرفت العلاقات مع تونس والمغرب والأردن وليبيا ومصر والعربية السعودية واليمن، ولعدة مرات، تبعات بعض ما يُبث على قناة الجزيرة وخصوصاً في البرامج التي يحلو لأصحابها بتسميتها «الحوارية» وهي في أغلبها، وبتجرد إعلامي ومهني وعلمي كامل، هي مجرد حلبات صراع سنعود إليها لاحقاً. وفي بعض الحالات، قام الإعلام المحلي للبلد المستهدف بحملة شعواء تجاوز من خلالها مجرد الرد على برنامج أو خبر إلى الهجوم والتهجم على سياسة دولة قطر وبعض قياداتها. وقامت بعض الشخصيات بتقديم دعاوى إلى محاكم بلدانها بخصوص ما يرد على القناة مما تعتبره «تشهير» أو «شتائم». وفي سنة 2000 أقام مواطن كويتي دعوى[1] يتهم فيها الجزيرة بالاعتداء عليه شخصياً وعلى كرامته من خلال ما ورد في برنامج سامي حداد «الرأي الآخر» من أقوال تتعلق باستعمال الكويت للأسلحة الكيميائية ضد العراقيين بعد إرغام الجيش العراقي على الانسحاب من الكويت في بداية تسعينيات القرن الماضي.

من جهة أخرى، تعرضت القناة إلى هجوم شديد من قبل بعض «المثقفين» العرب الذين أدلوا بدلوهم في نقد عمل القناة من زاوية مبادرتها إلى استضافة المسؤولين والمحللين السياسيين الإسرائيليين وتقديمهم إلى المشاهد العربي من المحيط إلى الخليج على أنهم محاورين عاديين، وإعطاءهم مساحة هامة من الزمن اللازم للرد على الانتقادات والإدانات للسياسات الإسرائيلية في الاحتلال وفي الاستيطان وفيما يتعلق بذلك من ممارسات تعسفية وعنفية. واعتبرت بعض البيانات الصادرة بهذا الشأن أن الجزيرة تلعب دوراً تطبيعياً وتُدخل إلى كل بيت عربي صوراً «إنسانية» لمن هم معتبرون في الذاكرة الجمعية كعصابات احتلال. فإن علّلت المحطة هذا الوضع بضرورة الحيادية في العمل الإعلامي، ينبري أصحاب الاحتجاج إلى اعتبار أن «الحيادية هي اعتداء عندما يطبق الأمر بين العرب وأعداءهم (...) مما يدفع أيضاً بقية المحطات الإخبارية إلى انتهاج نفس الأسلوب لجذب جمهور غير متنبه إلى المخاطر»[2]. ولا يتواني أحد الصحافيين اللبنانيين بأن يعتبر أن «مكاتب الجزيرة تجمع في جنباتها مستعمرات إعلامية محمية من قبل قوى مخفية تسعى إلى تهديد الوحدة الوطنية داخل كل بلد عربي»[3].

بالمقابل، تصدت العديد من الآراء إلى هذا الاتهام واعتبرت أن الجزيرة تلعب دوراً قومياً فاعلاً وبأن مشاركتها للاسرائيليين في برامجها مها إلا محاولة لتعرية وجهات نظرهم وإظهار ضعف حججهم ومواقفهم ودفاعاتهم عن التجاوزات الحربية لجيشهم. فتستشهد يومية القدس العربي[4] الصادرة في لندن بإعلان مسؤول اسرائيلي كبير قرار حكومته بمقاطعة قناة الجزيرة الفضائية، باعتبارها منحازة مع الفلسطينيين في تغطيتها للحرب الاسرائيلية في قطاع غزة سنة 2008، وتعتبر الصحيفة المقربة من الحكومة القطرية بأن ذلك يعتبر علامة فارقة ومؤشراً مهما يدل على حجم التغيير الذي يجري في المنطقة العربية، وكيفية تعامل الاعلام العربي على وجه الخصوص مع تطورات الصراع العربي ـ الاسرائيلي. فالاسرائيليون، تتابع الصحيفة، يطلبون من محطة الجزيرة «أن لا تظهر جنازات الاطفال الرضع الذين

[1] وكالة الصحافة الفرنسية، 11 أيلول /سبتمبر 2000.
[2] يومية السفير اللبنانية، 9 أيلول / سبتمبر 2000.
[3] يومية المحرر اللبنانية، 15 حزيران / يونيو 2000.
[4] يومية القدس العربي، لندن، 13 آذار / مارس 2008.

استشهدوا بفعل القصف الاسرائيلي لقطاع غزة، وان لا تذهب إلى مشارح الموت في المستشفيات لتصوير جثث الشهداء الآخرين. وإذا فعلت ذلك فهي منحازة للإرهاب الفلسطيني، وضد اسرائيل الدولة الحضارية التي تتصرف وكأنها فوق كل الشرائع والمواثيق، وتقتل ما تشاء من الاطفال والمدنيين العزل وهي مطمئنة إلى الدعم الامريكي والغربي، والتعتيم الاعلامي الكامل على جرائمها من قبل المحطات العالمية. فمحطة الجزيرة الفضائية فضحت العدوان الاسرائيلي على الأبرياء في قطاع غزة، (...) وهذا هو سبب الغضب الاسرائيلي الرسمي تجاهها. والذريعة التي استخدمها المسؤولون الاسرائيليون لمقاطعة الجزيرة أوجزها مجلي وهبة نائب وزير الخارجية الاسرائيلي في حديث للاذاعة الاسرائيلية بقوله ناقشنا تغطية الجزيرة المنحازة وقررنا مقاطعتها لان برامجها المنحازة لا تتمتع بأي مصداقية وتضر بنا واتهم المحطة بانها لا تعكس سوى نصف الأحداث وتساعد الارهابيين»[5].

من جهة أخرى، انبرت الصحافة العربية، التي تتبع إلى أنظمة وجدت نفسها مستهدفة من خلال بعض أخبار أو حوارات الجزيرة، إلى التصدي بشكل عنيف غالباً ونقدي هادىء أحياناً نادرة. فإن شعرت السلطات الأردنية مثلاً بتوجيه بعض اللوم لها من خلال لقاءات ملتبسة، فصحافتها تشم «رائحة فتنة نتنة تفوح من إبط برامج وتقارير وأسئلة القناة فيما يتعلق بالأردن. فلماذا تحاول قناة الجزيرة بث الفتن ما بين الأقطار العربية؟ وهل تعتقد القناة أننا نحتاج حقا إلى مزيد من الفتن والفرقة والضغينة؟ لماذا تشكك القناة في ذمة هذه الدولة وفي عروبة تلك؟ لماذا تغرس بذور الفرقة والخوف وعدم الثقة ما بين الشعوب العربية؟» وتعتبر هذه الكتابات أن لا يمكن لقطر انتقاد التطبيع الذي تقوم به بعض الأنظمة العربية مع إسرائيل «كأن قطر ليست من أوائل الدول التي هرولت للتطبيع مع إسرائيل بكل صراحة وجرأة ووضوح دون مواربة أو خجل، وهي ضمن دول الخليج العربي التي تعد جميعها حليفاً قوياً وشريكاً رئيسياً للولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط»[6].

أما اليمنيون، فبعد أن تدخلت قطر خلال عامي 2009 و 2010 بثقل مالي وسياسي لتسوية النزاع بين السلطة المركزية ومتمردوا الشمال الحوثيون، فشلت العملية السلمية رغم الاتفاقيات التي وقعت وعادت المعارك الطاحنة بين الطرفين واستعرت الصراعات شمالاً مع الحوثيين وجنوباً، وعلى مستوى أضعف، مع الحراك الجنوبي، ودخلت على الخط عناصر من تنظيم القاعدة، تضاربت مصالحها مع مصالح من كان يحميها، أي السلطة، وأرادت استعادة بعض من سيطرتها على مناطق انتشارها بعيداً عن عين الحكومة التي اضطرت لعوامل دولية متشابكة أن تصطدم معها. وعبّر المقربون من السلطة عن امتعاضهم واحباطهم من تغطية الجزيرة للصدامات واعتبروا بأنها منحازة وفيها مبالغات لا تستند إلى وقائع. واعتبر المحتجون بأن القناة قد ساهمت في تضخيم المشاكل الأمنية التي تمر بها اليمن إلى حد «إختلاق الأكاذيب وفبركة بعض الروايات غير الصحيحة بشكلٍ جعل العالم يعتقد أن اليمن بأكملها تمر بحرب شوارع وأن القتل موجود على مدار الثانية والدقيقة في كل أرجاء البلد وأن الصومال أفضل حالاً أمنياً من اليمن»[7]. وتعتبر المصادر اليمنية بأن هناك عدة عوامل جعلت القناة تقرر هذا الأمر وأولها «الإنتقام من حكومة اليمن بسبب عدم مشاركتها في قمة الدوحة وثانياً خروج الرئيس علي عبد الله صالح بتصريح لوسيلة إعلام سعودية قال فيه أن قبول اليمن للوساطة القطرية لوضع نهاية للتمرد الحوثي كان خطأ لن يتكرر وأنها – أي الوساطة– منحت عصابات الحوثيين شرعية لاتمتلكها في الأصل والسبب الثالث أن قطر تعد واحدة من الدول المانحة لليمن ولذلك لن تجازف الحكومة اليمنية بإنتقاد القناة مراعاة للحكومة القطرية وأيضاً بسبب حاجتها الملحة لكل دولار واحد من قبل المانحين»[8]. واستمرت تغطية الجزيرة للصدامات الحكومية مع الحوثيين ومع الحراك الجنوبي تثير ردود فعل وإدانة من قبل الإعلام

[5] نفس المصدر السابق

[6] موقع الحقيقة الأردني http://www.factjo.com/Manbar/MemberDetails.aspx?id=3513

[7] جريدة نبأ نيوز اليمنية http://www.nabanews.net/2009/24838.html

[8] نفس المصدر السابق.

المقرّب من رئيس الجمهورية اليمني حيث اعتبر بأن الجزيرة تحوّلت إلى أداة «للفتنة والإثارة ومنبر للكذب والخداع وتلفيق الأخبار وقلب الحقائق والتهويل والمغالطات. وأصبحت منبراً مفتوحاً للانفصاليين والخونة والمتآمرين على الوطن اليمني ووحدته وبابها مفتوح على مصراعيه أمام كل دجّال يريد الإساءة لليمن والنيل من سيادته واستقلاله»[9].

من جهتهم، لم يوفر الجزائريون القناة من الانتقاد والتشكيك في مصداقيتها وفي خلفيات مواقفها، واعتبار تغطيتها المغاربية متحيّزة من خلال برنامجها الليلي اليومي «الحصاد المغاربي»، وتتساءل الأقلام الجزائرية عن سبب عدم وجود برنامج شبيه يتعرض لدول الخليج ويكون اسمه الحصاد الخليجي، وتخلص إلى نتيجة مؤداها أن الغاية من هذا البرنامج الموجهة إلى دول المرغب العربي «التحضير لبؤرة توتر هناك ومنذ تلك اللحظة بدأ ما يسمى بنشاط القاعدة في المغرب العربي بفضل خطة الجزيرة وضمن استراتيجية أمريكية قذرة لوضع أرجلها في شمال إفريقيا طمعاً في منابع النفط ومزيداً من صفقات التسلح على غرار ما يحدث مع بلدان الخليج»[10]. هذا الموقف الجزائري لا يريح المغرب التي تعتبر بالمقابل بأن الجزيرة أقرب إلى السياسة الجزائرية منها إلى الحياد، حيث تتحدث الصحافة المغربية في صيف هذا العام عن تمويل قطري لجبهة البوليساريو من خلال تعهّد «بتقديم دعم مالي للتنظيم الانفصالي المناوئ للمغرب»[11]. واعتبار أن التغطية "السلبية" للداخل المغربي من قبل قناة الجزيرة مرتبط أيضاً بهذا التوجه السياسي للدولة القطرية ومحاولتها الاستثمار في النزاع المغربي الجزائري أو المغربي الصحراوي. وبالتالي فالخشية تزداد من قبل السلطات المغربية إلى أن تقوم دولة قطر بتوجيه إذراعها الإعلامي للتركيز على إنجاز تقارير سلبية عن المملكة المغربية في إطار حملة تشويه ذات أبعاد داخلية وخارجية»[12]. وتذكّر الصحافة المغربية بأن العلاقات المغربية القطرية عرفت تأزماً منذ موقف الملك الراحل الحسن الثاني من الانقلاب الأبيض الذي حمل أمير قطر الحالي للحكم خلفا لأبيه وتأزمت الحالة مع قناة «الجزيرة» وتقاريرها المثيرة للجدل عن المغرب.

في منتصف شهر تموز / يوليو 2009، قررت السلطة الفلسطينية[13] رفع دعوى قضائية ضد قناة الجزيرة بسبب قيامها «بالتحريض» على حد قول أحد المسئولين في حركة فتح، كما قررت إغلاق مكتب القناة في رام الله منعاً لقيامها بالتحريض مرة أخرى بين أبناء الشعب. وقد جرى لك بعد بث القناة للقاء مع فاروق القدومي، أحد زعماء فتح المعارضين لنهج الرئيس محمود عباس بشأن قضية اغتيال الرئيس الراحل ياسر عرفات حيث صرّح بأن عرفات سلّمه محضر يُبين تآمر كل من عباس ودحلان وشارون وبعض من الضباط الأمريكيين على اغتيال ياسر عرفات خلال اجتماع سرّي.

وقد تعرضت الجزيرة لهجوم بعض القوى السياسية الموريتانية[14] المعارضة للانقلاب العسكري الذي أنهى حكماً ديمقراطياً قصير الأمد. حيث اعتبروا بأن القناة قد أظهرت انحيازاً غير مبرر للانقلابيين وعزت ذلك إلى انتماءات المراسلين المناطقية التي جعلتهم أقرب إلى الانقلابيين منها إلى الحكومة الشرعية المدنية. حيث أوردت بعض الوسائل الإعلامية أن الشعب الموريتاني «يجمع على أن طاقم الجزيرة بنواكشوط ساهم في ترسيخ الانقلاب من يومه الأول (06-08-2008) ونقل للعالم صورة غير حقيقية من خلال قلبه للحقيقة وتعمده إهمال المتظاهرين في الشوارع ضد الانقلاب ساعات قليلة بعد إعلان خبر التمرد العسكري وسيطرة الضباط المعزولين على القصر الرئاسي، حيث تعمد المراسل إخفاء حجم المظاهرات وادعى بعد ذلك أنه لايعرف هل المتظاهرون مع الانقلاب أو ضده رغم أنهم يحملون

[9] موقع صحيفة الجمهورية اليمنية http://www.algomhoriah.net/articles.php?id=17789

[10] موقع الجزائر تايمز في 27 أيار / مايو 2010،
http://algeriatimes.net/news/algernews.cfm?ID=5355

[11] http://www.hespress.com/?browser=view&EgyxpID=22635

[12] نفس المصدر السابق.

[13] يومية الأيام، 15 تموز / يوليو 2009، رام الله.

[14] http://www.for-mauritania.org/index.php?article_id=910

صور الرئيس ولد الشيخ عبد الله ويطالبون بعودته»[15].

حتى أن العلاقات الأميركية القطرية تعرضت للمرور في فترات من الفتور، رغم تحالفهما العسكري والسياسي، بسبب انتقادات كثيرة وجهتها الإدارة الأميركية لفضائية «الجزيرة» خصوصا لجهة تغطية أخبار العراق وأفغانستان، حيث تعتبر واشنطن أن تغطيات الفضائية غير محايدة، وتتهمها بتأليب الرأي العام العربي والإسلامي عامة والعراقي والأفغاني خاصة ضد الوجود الأميركي في العراق وفي أفغانستان.

وتعتبر الحكومة المصرية أن الجزيرة تستهدف سياساتها ومواقفها وحتى داخلها المتوتر ولتقديم أفضل تعبير عن الموقف الرسمي المصري من قناة الجزيرة، يجدر بنا التوقف عند تصريح مفصّل لمصطفى الفقي[16] رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب، وهو الذي ظهر مراراً على أثير القناة والعارف بدواخل المطبخ السياسي والإعلامي الرسمي في مصر، حيث يعتبر أن قناة الجزيرة «مسخّرة لخدمة أهداف سياسية ومصالح جهات اجنبية متعددة فهي قناة سياسية اكثر منها اعلامية وتعتمد اسلوب غير مهني وغير اخلاقي في التعامل مع القضايا القومية والعربية وتستخدم لخدمة الاجندات التي ترتبط بالتوجهات الخاصة للحكومة القطرية». ويتحدّى الفقي أن تتعامل قناة الجزيرة بنفس الاسلوب والطريقة التي تتعامل بها مع بعض دول العالم مع الحكومة القطرية والنظام القطري او الانظمة والحكومات الموالية والمتعاونة معها. واضاف ان قناة الجزيرة «لا تستقطب الا المغضوب عليهم والمطرودين والمعارضة كما ان بعض الكتاب يستهويهم الاستعراض الاعلامي التي تفرضه الجزيرة بغض النظر عن توجهاتها واهدافها وسياساتها»[17]. وشدد الفقي على ان الجزيرة قد تتمتع بالتاثير والشهرة وقد تخدع المشاهدين لبعض الوقت ولكنها لن تستطيع ان تستمر في ذلك طوال الوقت فلا بد ان يكتشف المشاهدون حقيقة توجهاتها. فعندما تتحدث عن مصر تستدعي شخصيات لها مواقف معروفة ومضادة واذا ما قررت استضافة من يمثل الحكومة او الرأي الآخر فإنها تاتي بشخصيات قد لا تكون على نفس المستوي او اللباقة فتظهره ضعيفة وذلك لتثبيت قناعة لدى الراي العام بضعف موقف الطرف الرسمي والذي تشن عليها هجومها.

من جانبه يقول نبيل لوقا بباوي وكيل لجنة الثقافة والإعلام بمجلس الشعب أن قناة الجزيرة لها توجهات ضد النظام المصري انطلاقا من توازنات وحسابات وذلك «لان قطر على اتصال بالنظام الايراني (...) و أن قطر كدولة او كقناة لها توجهات كثيرة ضد مصر (...) فقد حرصت الجزيرة دوما على التشكيك في مصر وادائها ودورها خاصة خلال احداث غزة (...) وهي تستخدم لخدمة اهداف واجندات مختلفة سورية وايرانية واسرائيلية للتلاعب بالمنطقة وتحقيق مصالح خاصة للنظام القطري (...) والعالم ينظر لدولة قطر على انها هي قناة الجزيرة (...) واذا كانت الجزيرة تتسم بالحرية والديمقراطية والصراحة والشفافية كما يقال فقد ثبت على وجه اليقين ان كل الاسلحة الحديثة التي ضرب بها اهالي غزة اعطاها الامريكان للصهاينة وكانت مخزنة في قطر (...) والقواعد الامريكية هي الحامية للنظام القطري وامير قطر الذي قام بطرد والده اثناء وجوده بالخارج وهو سر كراهية النظام القطري لمصر التي وقفت بجانب الشرعية ورفضت سطو الامير الابن على حكم والده».

دور سياسي مساند للدبلوماسية القطرية

إذاً، ومن خلال استعراض بعض الأمثلة على ردود الفعل الرسمية أو شبه الرسمية الصادرة في أغلب الدول العربية، يتبين لنا بأن المحطة الفضائية القطرية تمارس دوراً هاماً في إعادة تشكيل المشهد السياسي، والبصري منه على الأقل. وحينما يعتبر الكاتب والصحافي المصري محمد حسنين هيكل بأن «دولة قطر تتجاوز حدودها بشكل خلاق»، فهو يعي تماماً أنه يقصد بهذه العبارة السياسة الخارجية

[15] نفس المصدر السابق.
[16] موقع الحقيقة الدولية، http://www.factjo.com/fullNews.aspx?id=6233
[17] نفس المصدر السابق.

القطرية بشكلها العام ولكننا يمكن أن نحيلها أيضاً إلى الدور الذي تلعبه المحطة الفضائية في تنفيذ بعض من أهم أوجه هذه السياسة والتعبير عنها بشكل موارب أحياناً ولكن بوضوح كامل في أحايين أخر.

لقد بدأ الدور السياسي الإقليمي والدولي لقطر بالبروز بعد وصول الأمير حمد بن خليفة آل ثاني إلى الحكم في حزيران / يونيو عام 1995 إثر ما ذُكر رسمياً على أنه تنازلٌ عن الحكم من والده الشيخ خليفة آل ثاني والذي عاش بعدها متنقلاً قبل أن يعود الى الدوحة عام 2005 للمشاركة في تشييع جنازة إحدى زوجاته ويحصل على لقب «الأمير الوالد».

وعلى الرغم من صغر مساحتها الجغرافية وحداثة نشأتها كدولة مستقلة[18]، فإن دولة قطر تحقق نمواً اقتصادياً مطرداً وتطوراً عمرانياً كبيراً بالاعتماد على أرباح الأعوام الأخيرة الناجمة عن الارتفاع الكبير في أسعار النفط ومشتقاته. وحيث أنها حققت ثاني أعلى دخل للفرد في العالم. فإن السياسة الخارجية القطرية تستمر في لعب أدوار هي مبدئياً أكبر من الحجم النظري سياسياً وإقليمياً لهذه الدولة المحدودة جغرافياً وسكانياً. وهناك سعي واضح، يُعبّر عنه بوسائل عدة، إلى لعب دور هام ومؤثر في المنطقة في السنوات الأخيرة كفاعل سياسي واقتصادي. وبجانب الحضور الدبلوماسى القطرى النشط على المستويين العربى والإقليمى سعت قطر أيضاً إلى تنظيم واستضافة العديد من المؤتمرات والمنتديات والملتقيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، على المستوى العربى والإقليمى والدولى، ومنها مثلاً مؤتمرات التقريب بين المذاهب والاجتماع الوزارى لمنظمة التجارة العالمية 2001 واستضافة مؤتمر حول التجارة الحرة والديمقراطية عام 2001 وآخر عن إعادة بناء الأنظمة الأمنية فى أفغانستان 2004، والملتقى الإقليمى الثانى للديمقراطية والإصلاح فى الدول العربية 2007، وتنظيم مؤتمر سنوي بعنوان الحوار الأمريكي - الإسلامي بالدوحة وغيرها.

وأكبر مثال على نجاح الدبلوماسية القطرية على الساحة الداخلية العربية هو نجاحها قي الوساطة بين الفرقاء اللبنانيين في أيار / مايو من عام 2008 والوصول إلى اتفاق الدوحة الذي وضع حداً لتدهور الأوضاع الداخلية اللبنانية وسرّع من عملية انتخاب رئيس للجمهورية بعد أشهر من التوتر السياسي والأمني غرفه لبنان. وقد مثّل هذا الانفاق إنجازاً سياسياً كبيراً للسياسة القطرية. وما زالت الوساطة القطرية قائمة بين جميع الأطراف اللبنانية التي تستعيد جو التوتر الطائفي والسياسي من فترة لأخرى. وتشكل الاستثمارات القطرية في عملية إعادة الإعمار خصوصاً في المناطق التي تضؤوت بحرب إسرائيل على لبنان سنة 2007، جزءاً هاماً من السياسة القطرية تجاه هذا البلد، وتعبّر قناة الجزيرة في الآن ذاته عن أهمية الملف اللبناني لدى القادة القطريين من خلال تعزيز إمكانيات مكاتبها في بيروت وإعطاء الأولوية للخبر اللبناني مهما كان داخلياً، وكذلك، تسليط الضوء الدائم على المواقف اللبنانية المستجدة من خلال حوارات متعددة ومتكررة مع صنّاع المشهد السياسي اللبناني.

ولم يقتصر[19] الدور الوفاقي القطري على الملف اللبناني بل تعداه ليحاول الخوض في النزاع القائم في إقليم دارفور داعياً الأطراف المتصارعة إلى لقاءات في الدوحة تمضخت عنها بعض التوافقات دون الوصول فقعلياً إلى حلٍّ نهائي لهذا النزاع ذو الأبعاد الإقليمية والدولية والمرتبط مباشرة بطبيعة النظام السوداني وموقعه في القارة الإفريقية. ولا تخفي قطر دعمها لحركة حماس سياسياً ومالياً دون أن يعني ذلك تقاطع إيديولوجي. في حين أن لقطر علاقات تجارية وسياسية مع إسرائيل تخللتها لقاءات على أرفع المستويات بين قادة البلدين. وهذه العلاقة جلبت لقطر سيلاً من الانتقادات الصادرة عن كل دولة أو جهة سياسية عربية وجدت في الدور القطري أو في سياسة قناة الجزيرة تهديداً لاستقرارها أو نقداً لمشروعيتها أو توجهاً ما للتأثير في أوضاعها الداخلية. وكما سبق ذكره، فإن قطر حاولت أن تجمع المتمردين الحوثيين في المن مع ممثلي الحكومة المركزية في صنعاء، ولكن يبدو أن المملكة العربية السعودية، ومن ضمن ساياسة الحذر والريبة من أي بروز قطري إقليمياً، قد أضعفت هذا الملف من خلال تأثيرها على الرئيس علي عبد الله صالح، مما أدى إلى أن تقوم الجزيرة بتغطية نشاطات المعرضة اليمنية المتمثلة باللقاء

[18] 1971

[19] في نهاية البحث قائمة بأهم الوساطات السياسية القطرية في السنوات القليلة الماضية.

المشترك أو بالحراك الجنوبي كردٍ دبلوماسي على إفشال وساطتها.

هل من تناقض بين السياسة الخارجية القطرية ورسالة المحطة؟

لقد تمكنت قطر، رغم علاقاتها الاستراتيجية مع واشنطن واستضافتها للقيادة المركزية للجيش الأميركي بالمنطقة وعدم اخفائها لوجود علاقات ـ مهما علا أو تدنى مستواها ـ مع اسرائيل، أن تصنع لها صورة مميزة لدى شعوب المنطقة الممانعة للسياسة الأميركية ـ الإسرائيلية. فهي مقربة جداً من الفصائل الفلسطينية المناهضة للاحتلال الاسرائيلي وتتفهم موقف ايران في ملفها النووي وتسعى باتجاه تحسين علاقات إيران المتوترة مع مجلس التعاون الخليجي. وقد تكونت لدى القيادة القطرية القناعة بأن القطع الكامل للعلاقات مع اسرائيل في زمن ترتبط فيه اكثر من نصف الأنظمة العربية بعلاقات معها قد أصبح مجرد موقف شكلي وسلبي خصوصا ان حليفة اسرائيل الولايات المتحدة هي شريك استراتيجي لعدد كبير من دول المنطقة. لذا فقد اختارت الدوحة إقامة الحد الأدنى من تلك العلاقات وفتح قنوات اتصال مع الجانب الاسرائيلي بشكل منفرد في ظل صعوبة التوصل لهكذا قرار على مستوى خليجي أو عربي أوسع. ولامتصاص غضب الشارع العربي على ما يمكن اعتباره من قبل البعض ازدواجية في السياسة الإقليمية، عزّزت الدولة القطرية من دور قناة الجزيرة من خلال تغطياتها التفصيلية لمجمل الانتفاضات الفلسطينية والصراعات المسلحة التي تتواجه من خلالها قوات الاحتلال الإسرائيلي مع الفصائل الفلسطينية من مختلف المشارب. إضافة إلى الدور الأساسي الذي لعبته القناة إبان العدوان الإسرائيلي على لبنان وتدميرها للبنى التحتية حيث أنجزت المحطة تغطية كاملة وتبنيها الكامل لمواقف المقاومة اللبنانية المتمثلة حينها بحزب الله. إضافة إلى هذا الدور الذي تلعبه القناة في امتصاص النقمة المنحتملة على تقارب قطري إسرائيلي أو تواجد عسكري أميركي في قطر، فإن تغطية الجزيرة للاحتلال الأميركي في العراق وانتهاكاته تظهر بوضوح حساسية الرسالة الإعلامية التي صيغت وشذبت لدعم سياسات إقليمية ودولية تبدو للوهلة الأولى في موقع شديد التناقض مع ما تنقله أو تعرضه هذه القناة.

وفي هذا الصدد، أكد الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية القطري[20] «أنه لا يوجد تناقض في السياسة الخارجية القطرية». واعتبر أن وجود القاعدة الأمريكية في دولة قطر، ناجم عن إبرام اتفاقية مع الولايات المتحدة الأمريكية في «إطار رؤية القيادة القطرية لحفظ الأمن والأمان للدولة وتحسبا لأية تهديدات أو مخاطر محتملة»[21]. لافتا إلى أن الدوحة أبرمت العديد من الاتفاقيات العسكرية المماثلة مع دول كبرى، ونافيا بشدة أن يمثل الوجود العسكري الأمريكي في قطر أي خطر على سيادة الدولة. وقال إن الاتفاقية المبرمة مع واشنطن في هذا الصدد تؤكد على السيادة القطرية حتي داخل القاعدة. مشددا على أن الجانب القطري حرص عند إبرام الاتفاقية على ضمان السيادة الكاملة لقطر علي كل شبر من أراضيه.

لقد كانت العلاقات مع السعودية هي من أسباب الرئيسية لتطور الدور الدبلوماسي القطري وبالتوازي، فلقد اعتبرت قناة الجزيرة ذراعاً إعلامياً مؤثراً في هذا الإطار. فالعلاقات المتوترة مع السعودية نشأت منذ تغيير قمة النظام السياسي في قطر ووصول

[20] للتعرف أكثر على موقف الوزير أنظر إلى المقابلة مع قناة الجزيرة بتاريخ 24 حزيران / يونيو 2009. http://www.aljazeera.net/NR/exeres/F438B996-9EF6-4090-9902-510730D08C25

[21] http://www.lakom.qa/view-episode-6556.html

الأمير الإبن إلى قيادة دفة الحكم يحمل طموحات لم ترق للقادة السعوديين المسيطرين التقليديين على الجزيرة العربية برضى غربي ما لبث أن تزعزع مع بروز قطر ودورها وتقرّب الغرب منها أو العكس. فقد أدركت السعودية مدى إهمية الدور الذي تقوم به السياسة الخارجية القطرية وبدايات بروز قطر كقوة دبلوماسية خليجية تحرز بعضاً من التفوق على الدبلوماسية السعودية. إضافة إلى سعي الدبلوماسية القطرية إلى إيجاد حل للخلافات الخليجية الإيرانية تحديداً والعربية الإيرانية بشكل أوسع. وتمثّل ذلك في سعيها إلى الاحتفاظ بعلاقات متوازنة مع السعودية وإيران. وقد قامت قطر أيضاً بانفتاح كبير ومبرمج على البلدان الغربية وأمريكا ساعدها في ذلك تواصلها مع إسرائيل لتتمتع بوصف الغربيين لها بالاعتدال. وقد ساهم بروز دور محطة الجزيرة بأقنيتها المتعددة في بناء قوة رمزية ناعمة في أوساط الرأي العام العربي من خلال الأداء الإعلامي مهمشة بذلك الدور الإعلامي السعودي الذي كانت له السيطرة على مختلف الأصعدة.

وقد أكد «أن سياسة دولة قطر تتسم بالواقعية استناداً إلى حكمها على الأمور وتقديرها لمعطيات الواقع. كما تتسم بالعلنية وتقول ما تعتقد أنه صحيح»[22]. وقال في برنامج لكم القرار المتلفز«أن السياسة القطرية تتميز بالجرأة على إعلان مواقفها، ولا تخفي شيئا على عكس ما يفعله البعض في المنطقة»[23].

ولكن الموقف السعودي من السياسة الخارجية القطرية مرّ بحقبات توتر عديدة ساهمت الجزيرة في تأجيجها من خلال تغطيتها لبعض الأخبار المتعلقة بالمملكة أو بالدول التي تعتبر المملكة بأنها تقع ضمن محيط تأثيرها، كما العراق أو لبنان. وقد عبّرت أيضاً السعودية عن امتعاضها من أداء السياسة القطرية عن طريق إعلامها، فقد وصف الصحافي السعودي عبد الرحمن الراشد سنة 2006 السياسة القطرية «بالازدواجية والتناقض المريع وحالة الشيزوفرينيا والتدجيل السياسي غير المبرر»[24]. وبعد هذا التصريح بعدة سنوات، تحسنت العلاقات بين الدوحة والرياض وتم التعبير عن ذلك أيضاً موارية وعن طريق الإعلام، فكتب داوود الشريان[25] بأن «برامج قناة الجزيرة وتوجهاتها على رأس الأسباب التي استخدِمت لتفسير الجفاء الذي خيّم على العلاقة بين البلدين» ولكنه، وعكس المتوقع، يُعزي أسباب الخلافات إلى أمور أكثر تعقيدا من مجرد برنامج تلفزيوني ويعتبر أن «الخلافات الحدودية دخلت على خط التفسيرات». وقد شهدت الشهور الماضية انفراجاً في العلاقات القطرية - السعودية. ووضحت أولى نتائجها في تغيّر لغة الإعلام من الطرفين، وتوالت الزيارات الرسمية، وإجراءات لتنشيط العلاقات الاقتصادية. وفي شهر نيسان / أبريل الماضي استقبل الملك عبدالله قرينة أمير دولة قطر الشيخة موزة التي حظيت باستقبال يعتبر سابقة بالنسبة الى أميرة من الخليج. وشهدت الرياض بداية شباط / فبراير الماضي الملتقى السعودي - القطري الذي عزز العلاقات التجارية ورفع مستوى التبادل وناقش إقامة مشاريع صناعية مشتركة بالتعاون بين رجال الأعمال السعوديين والقطريين، وبدعم من الحكومتين.

لقد اعتمدت السياسة الخارجية القطرية على المرونة في التعامل مع القضايا الكبرى ولم تتخذ مواقف حادة حتى عندما تعرضت سياستها للانتقاد أو للهجوم، بل لجأت إلى

[22] نفس المصدر السابق.
[23] نفس المصدر السابق.
[24] يومية المدينة السعودية، 3 تشرين الثاني / نوفمبر 2006.
[25] يومية الحياة السعودية، 27 أيار / مايو 2010.

قناة الجزيرة للإجابة على هذه الانتقادات بعنف لفظي وصل أحياناً إلى درجات عالية من التوتر. وبالمقابل، كانت الإدارة القطرية تكرر بأن للقناة سياستها التحرريرية المستقلة وبأنها غير قادرة على التأثير فيها. ولقد بزغت الحاجة إلى هذا النمط الدبلوماسي بعد حرب العراق الأولى سنة 1990 وتبللورت مع وصول القيادة السياسية الجديدة إلى الحكم في عام 1995. وعملت الدولة القطرية على الحصول على الضمانة الأميركية لحماية أمنها القومي مع تحسين علاقاتها مع جميع الأطراف الاقليمية سعياً لإبراز دورها كصانع اقليمي للسلام.

ملاحظات ختامية

اعتبر الباحث الفلسطيني في جامعة بيرزيت محمد أبو الرب أن سياسة قناة الجزيرة «تتوافق بنيوياً مع السياسة القطرية ضمن المشروع التحديثي بما يحمله من أبعاد سياسية واقتصادية وأيديولوجية (...) وأن دبلوماسية القناة في تكامل مع دبلوماسية الدولة، وأحيانا تسبق السياسة الرسمية خطاب الجزيرة كما في الخلاف القطري السعودي والبحريني، وأحيانا أخرى تسبق القناة الدولة في رسم سياستها كما في تغطية الجزيرة للملف الفلسطيني»[26].

تضع الجغرافيا السياسية معايير محددة يجب أن تتمتع بها الدول لكى تصنف كدول كبرى على المستوى الدولى ويأتى على رأس هذه المحددات 'القوة العسكرية والقوة الاقتصادية والمساحة الجغرافيا وعدد السكان' كما أن المقولة القديمة فى العلاقات الدولية التى تقول إن نجاح الدبلوماسية والوساطة بين الدول هى حكر على الدول الكبرى ولا مكان للدول الصغيرة أو الضعيفة، قد لا تنطبق مع الحالة القطرية، التى أثارت نجاحاتها المتوالية في عقد المصالحات بين الدول المختلفة الريبة فى مصداقية هذه المحددات والمقولات.

إن تحليل معطيات آلية صنع القرار القطرية ودراسة مدلولات التحركات القطرية بهذا الشأن لا يتم بمعزل عن آليات عمل السياسة الخارجية القطرية، خاصة البعد الخارجى المتمثل فى الدور المتنامى للدبلوماسية القطرية بمستوياته العربية، والإقليمية، والدولية، والذى أخذ فى البروز مع نهاية القرن الماضى، حيث تنطلق الدبلوماسية القطرية من حزمة من القواعد المتعلقة بالأوضاع العربية خصوصاً والإسلامية عموماً ومن بينها التزامٌ مبدئي بحقوق السيادة والدولة، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية بشكل مباشر وإنما من خلال الذراع الإعلامي المرن والقابل للتبدّل. وكذلك، الالتزام بقواعد التبعية الدولية ومواكبة المستجدات والتطورات العالمية و التكيف معها. وتسعى إلى تبني فلسفة الدبلوماسية الوقائية مع تقبل تبرعات الإسهام فى تحقيق السلام ورفض الاحتكام إلى القوة فى فض المنازعات. وتسعى دولة قطر أن تكون بمقربة من مختلف الأطراف السياسية والإقليمية والدولية وبالتالي تحصل على ثقتها، ومن ثم تستطيع أن تستثمر هذه العلاقة المتميزة فى بذل المساعى الحميدة وتقريب وجهات النظر بما يحقق حل الأزمات وتعزيز موقعها. وعلي المستوى الدولي تعتمدج قطر سياسة الاقتراب المتوازن مع الولايات المتحدة والغرب عموما، بما فيه إسرائيل، وأن هذه السياسية المتبعة لا تخدم دورها كلاعب عربي مهم بقدر ما تخدم مصالح قطر كدولة، وبالتالي فإن هذه الفاعلية التي تظهرها الحكومة القطرية إنما تأتي لطبيعة الهدف الاستراتيجي للدولة القطرية. فحكومة قطر تريد فيما تتبناه من سياسة خارجية ودبلوماسية فاعلة في الوقت الحالي الذي يشهد انقساما عربيا و دوليا، أن تطرح نفسها في العالم بصورة الطرف والوسيط المحايد.

إن القائمين على السياسة القطرية يعتبرون أن لديها مزايا عديدة لاحتواء الأزمات والتوسط في النزاعات الدولية والإقليمية. فيعتبرون أن قطر لا يوجد لها أهداف سياسية مسبقة نحو فريق دون الآخر في كافة النزاعات التي تدخلت فيها كطرف وسيط. وأكبر مثال على ذلك ركائز الدور القطري في حل الأزمة

[26] أبو الرب، محمد. الجزيرة وقطر: خطابات السياسة، وسياسة الخطاب، من إصدار ابو غوش للنشر والتوزيع، القدس، 2010.

اللبنانية وهي تمتعها بعلاقات حيوية ومميزة مع اللاعبين الأساسيين على المستوى المحلي والعربي والاقليمي والدولي. ولبنانياً، ترتبط قطر بعلاقات حيوية ومميزة مع الفاعلين الأساسيين علي المسرح اللبناني. وتعتبر قطر اقرب الأصدقاء العرب لسوريا وتستثمر فيها مليارات الدولارات في مشاريع عدة. كما توفر قطر الدعم الدبلوماسي لسوريا و يتجلى ذلك بوضوح عندما دعت قطر الدول العربية لحضور القمة العربية التي انعقدت في سوريا في آذار / مارس 2008، في الوقت الذي كانت فيه عدد من الدول العربية لا تحبذ الحضور للقمة محملة سوريا مسؤولية ما يحدث علي الأراضي اللبنانية.

وفي الملف الإيراني أيضاً، وهو من الملفات الشائكة إقليمياً، ترتبط قطر بعلاقات قوية معها منذ أن تدخلت كوسيط للتسوية بينها وبين الإمارات فيما نشأ بينهما من نزاع حول الجزر الإماراتية الثلاث عام 2000، مما فتح الباب لإقامة علاقات قوية سياسيا واقتصاديا، ثم وجهت قطر الدعوة بصفة رسمية للرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد لحضور قمة مجلس التعاون الخليجي التي عقدت في الدوحة برئاسة قطرية، مما أسهم بشكل جزئي في كسر الحصار المفروض على إيران منذ 1979 . فضلا عن الدعم القطري للقضية النووية الإيرانية مع المجتمع الدولي والدفاع عن حق الشعوب في إمتلاك الطاقة النووية للأغراض السلمية.

أما وجود القاعدة العسكرية الأمريكية فهي تعبير عن أن أميركا حليف استراتجي لقطر التي تعتبر هذه القاعدة بمثابة ضمان لأمن الخليج وجزء لا يتجزأ من التوازن الاستراتجي بين تكتلات المنطقة. وتسعى الولايات المتحدة بالدفع بقطر نحو التواجد على المسرح الدولي عن طريق المشاركة القطرية في محاولات التهدئة وإيجاد الحلول المناسبة لها والتي تجمع عليها الأطراف المختلفة، فيما يقوم من نزاعات في المنطقة العربية والإقليمية وتعمل الولايات المتحدة على تذليل الصعوبات التي قد تعوق هذا الدور القطري.

وتعتبر القوة الاقتصادية عاملاً هاماً في تعزيز الوجود الإقليمي والدولي للسياسة القطرية حيث يعتبر الاقتصاد القطري حاليا أكثر الاقتصادات العربية انفتاحا كما مكنها النمو السريع الذي حققته من أن تصبح واحدة من أغنى الدول في العالم، حيث سجلت أعلى نصيب للفرد من إجمالي الناتج المحلي في العالم إذ بلغ حوالي 49.655 دولار في عام 2007، وبلغ نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي 64.495 دولار في العام نفسه، وتمتلك قطر ثالث أكبر مخزون من الغاز الطبيعي في العالم وبلغ حجم الاستثمارات فيه نحو 70 مليار دولار في 2008، وبالتالي تنعكس قوة الاقتصاد القطري علي طبيعة الدور السياسي، وذلك من خلال القدرة على ترغيب الأطراف المختلفة في عقد وإتمام المصالحات بينهم، ومثال على ذلك اللجنة التي شكلتها قطر لمساعد السودان، ولجنة القدس، والوعود القطرية بالمشاركة في إعمار لبنان، اولوعود القطرية للصعديين في اليمن من بناء ما هدمته الحرب في شمال اليمن بين الحكومة اليمنية والحوثيين، فيضفي المال دوما القوة على نجاح الدور القطري.

ويعتبر الذراع الإعلامي للسياسة القطرية المتمثل بشبكة أقنية الجزيرة، هو الوسيلة التي أثبتت نجاحاً لا شك فيه مع تعزيز الشعور بالغضب لدى عدد من الأنظمة والذي انعكس كما أسلفنا بأشكال عدة، تراوحت من إغلاق مكاتب الشبكة أو استدعاء السفراء أو حتى قطع العلاقات الدبلوماسية. وقد نجحت الجزيرة في رهانها أن تصبح مصدرا لأخبار القنوات ووكالات الأنباء والصحف العالمية. وذلك على الرغم من خوف بعض القوى المتحالفة مع قطر من سطوة التيار الديني على تحرير القناة فمنذ تعيين وضاح خنفر المحسوب على الإخوان المسلمين مديرا للقناة في تشرين اول / أوكتوبر عام 2003 وهو الذي يتمتع بصلات كبير مع كل من الاخوان المسلمون وحماس، مما أتاح للقناة إيجاد حلقة الاتصال المفقودة، مع هاتين القيادتين، واكتمل المشهد بتعيين خنفر مديرا لشبكة الجزيرة في شباط / فبراير 2006.

إن برزت تغطيات القناة لأحداث أفغانستان والباكستان وأعمال القاعدة في العراق كنوع من الإزدواجية مقابل الخطاب السياسي القطري المعتدل والمنفتح والذي يحاول أن يضفي مشروعية إقليمية ودولية على نشاطاته. ووصل الشك بالتوجه الديني إلى حد اتهام مبطن بوجود حلف مصالح مع الفئات الجهادية خصوصاً مع حصر نشر الأشرطة التي تصورها في مجاهل افغانستان او لعملياتها في االعراق بقناة الجزيرة. ولكن الملاحظة الحيادية تعتبر بأن قطر السياسية وفضائية الجزيرة الإعلامية دخلتا بحلف

مع حركة حماس والأخوان المسلمين، بغية الحصول على مصداقية إسلامية تسيطر على أغلب الشوارع العربية وأثبتت القناة قدرتها على التحوّل الإيديولوجي الذي يرتبط بالتوجه السياسي وبما لا يضر المصلحة القطرية العليا.

إن قناة الجزيرة وعلاقتها المباشرة والتشابكية والوجودية مع السياسة القطرية لا تحتمل التطرف في التقييم، فلا هي بقناة مستقلة وحيادية كما يروّج الخطاب الرسمي القطري، ولا هي بقناة تآمرية تحاول عبثاً زرع الفتن وتفتيت الصف العربي كما تزعم بعض الأنظمة التي تجد نفسها مستهدفة، ولا هي بنافذة الحرية العربية التي تنتظرها الملايين منذ عقود كما يحلو لبعض المتلقين أن ينظروا إليها. إنها محطة احترافية تنفذ سياسات عامة لدولة تبحث عن مكانة إقليمية وتحاول درء المخاطر المحيطة بها واتستغل مواردها الغازية بشكل مثمر نسبياً لها. وهي تخضع لحسابات العمل المهني وللحسابات السياسية وكذلك فهي تتعرض لتأثيرات مباشرة من تبني بعض التوجهات السياسية التي يحملها بعض المتنفذون من العاملين فيها. وليست قنوات الدول الأخرى بأقل سعي إلى هذا الحضور وإلى هذا التأثير، ولكن الفارق يتبللور في طريقة التنفيذ ونجاعة الإخراج.

ملحق: أهم الوساطات التي قامت بها الدولة القطرية

- وساطة قطرية لإزالة الخلاف بين الرئيس السوداني عمر البشير والدكتور حسن الترابى الأمين العام لحزب المؤتمر الوطنى إثر تصاعد المواجهة بين أحزاب المعارضة الحكومية فى السودان عام ١٩٩٨.
- الدور القطرى فى رعاية المصالحة بين الرئيسين السودانى عمر البشير والأريترى أسياسى أفورقى أيار / مايو عام ١٩٩٩.
- المساهمة القطرية فى اللجنة الثلاثية الخليجية المكلفة بإيجاد آلية لحل الخلاف بين إيران والإمارات فى شأن الجزر الإماراتية. كما تبلور هذا الدور إبان زيارة أمير قطر لإيران فى صيف عام ٢٠٠٠.
- الوساطة القطرية بين الولايات المتحدة الأمريكية والنظام السابق فى العراق واللقاء الشهير والمختصر جداً بصدام حسين وكانت تتمحور حول تنازل فورى لصدام عن السلطة مقابل إيقاف عجلة الحرب الأمريكية فى عام ٢٠٠٣.
- قيام قطر برعاية اتفاق بين الحكومة اليمنية والحوثيين بمحافظة صعدة التى تقع شمال صنعاء إثر اندلاع الحرب بين الحوثيين والحكومة فى عام ٢٠٠٤.
- وساطة قطرية لحل أزمة درافور تتمثل فى عقد لقاء يضم الأطراف المتنازعة فى درافور بما فيها فصائل المعارضة والحكومة والأمم المتحدة، وذلك بناء على أفكار تلقتها قطر من الولايات المتحدة و مجلس الأمن لحل المشكلة السودانية ١٥ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٦.
- مشاركتها في قوات حفظ السلام رغم ضعف التجربة في الميدان.
- الدور التوافقى الذي قامت به قطر فى أزمة الأردن مع أعضاء حركة حماس.

السيرة الذاتية للمؤلف
درس سلام الكواكبي العلوم الاقتصادية والعلاقات الدولية في جامعة حلب في سوريا ومن ثم الدراسات العليا في العلوم السياسية في معهد العلوم السياسية في مدينة إكس أون بروفانس الفرنسية. بين عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٦ كان باحثاً مسؤولاً عن فرع المعهد الفرنسي للشرق الأوسط في حلب. حالياً، هو مدير أبحاث في مبادرة الإصلاح العربي في باريس، وباحث في كلية العلوم السياسية في أمستردام وباحث مشارك في برشلونة CIDOB شارك في العديد من المؤلفات المشتركة باللغات الفرنسية والإنكليزية والعربية. في أعماله، يبحث في أمور الإعلام، المجتمعات المدنية، الهجرة، حقوق الإنسان والعلاقات الدولية .

TRADUCCIÓN

AEIOU – Traductores (árabe).

الملخص
تتجنب هذه الدراسة العودة إلى الخوض في مفاهيم المشهد البصري العربي الذي تطور حجما ونوعا بشكل لافت في العقدين الأخيرين. بل هي تقدم للقارئ المهتم عرضاً من قسمين، يخصص الأول لعملية انطلاقة قناة الجزيرة القطرية وتأثير العوامل القومية والدينية في تكوين وعيها السياسي أو ما يظهر منه على الأقل. وتركّز الدراسة في جزءها الثاني على الدور السياسي الخارجي الذي تلعبه هذه القناة في دعم دبلوماسية دولة قطر التي تحاول أن يكون لها مركز إقليمي ودولي يتجاوز حجمها الجغرافي بشكل كبير ويوازي طموحاتها السياسية المشروعة في إطار إعلامي إقليمي متنوع ومتشعب حيث لا تنأى أياً من دول المنطقة على محاولة السعي إلى امتلاك هذه "القوة الناعمة" المستحدثة، كل على طريقته.

الكلمات المفتاحية
السيطرة الإقليمية، المشهد البصري، العلاقات العربية ـ العربية، الأصولية، الفضائيات العربية

RESUMEN
Este estudio evita plantear un análisis en profundidad de diversos conceptos relativos al panorama audiovisual árabe, que en las últimas décadas ha experimentado una evolución significativa tanto cuantitativa como cualitativamente, si no que ofrece al lector interesado una presentación en dos partes. La primera de ellas está dedicada a la aparición del canal de televisión qatarí Aljazeera y el impacto de diversos factores nacionales y religiosos en la conformación de su imaginario político o, cuando menos, de los aspectos más visibles del mismo. En la segunda parte, el estudio se centra en el papel desempeñado por el canal en política exterior como punto de apoyo de la diplomacia del Estado de Qatar, país que pretende convertirse en un centro relevante a escala regional e internacional, excediendo considerablemente sus límites geográficos; un papel que acompaña a las legítimas aspiraciones políticas qataríes, dentro de un marco mediático regional heterogéneo y muy diverso en el que todos los países de la zona, a su manera, persisten en su intento por poseer esta «fuerza blanda» de la que habla el autor.

PALABRAS CLAVE
Dominio regional, panorama audiovisual, relaciones interárabes, fundamentalismo, canales árabes vía satélite.

ABSTRACT
This essay avoids plunging into an analysis of concepts related to the Arab audiovisual scene, which has experimented a significant evolution in recent decades both in quantitative and qualitative terms. Instead, it offers interested readers a presentation in two parts. The first part, devoted to the emergence of Qatari TV channel Aljazeera, analyzes the impact of national as well as religious factors in the shaping of the channel's public imagery. In the second part, the essay focuses on Aljazeera's foreign policy role in support of the State of Qatar's diplomacy. Qatar aims at

becoming a relevant actor both at a regional and international levels, significantly exceeding the limits imposed by its geographical size. Aljazeera's role goes hand in hand with Qatar's legitimate political aspirations within a heterogeneous and rather diverse regional media framework in which all regional actors (each in their own way) persist in the attempt at owning the «delicate force» mentioned by the author.

KEYWORDS
Regional dominance, audiovisual scene, inter-Arab relations, fundamentalism, Arab satellite TV channels.